

خطبة الجمعة - الخطبة ٣٩٦ : خ ١ - ثمار الحج ، خ ٢ - زيارة النبي.

لضييلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٢-٠٦-١٩٩٢

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الأولى:

الحمد لله ثم الحمد لله ، الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كانا لنهندي لو لا أن هدانا الله ، وما توفيقي ولا اعتصامي ولا توكلني إلا على الله . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، إقراراً بربوبيته وإرغاماً لمن جد به وكفر . وأشهد أنَّ سيدنا محمداً صلَّى الله عليه وسلم ، رسول الله سيدُّ الخلق والبشر ، ما اتصلت عينُ بنظرِ أو سمعت أذنُ بخبرِ . اللهم صلَّ وسلِّمْ وبارك على سيدنا محمد ، وعلى آله وأصحابه ، وعلى ذرِّيَّته ومن وآله ومن تبعه إلى يوم الدين . اللهم ارحمنا فإنك بنا راحم ، ولا تعذبنا فإنك علينا قادر ، والطف بنا فيما جرت به المقادير ، إنك على كل شيء قادر . اللهم علمنا ما ينفعنا ، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً ، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه ، واجعلنا من يسمعون القول فيتبعون أحسنَه ، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين .

الحج :

أيها الأخوة المؤمنون ؛ الموضوع الذي بدأت به قبل الحج محوره أن الدين كله حُسْنُ الخلق ، وأن هناك تلازمًا ضروريًا بين التدين الصحيح وبين الخلق القويم ، ولكنني أشعر أن أغلبكم ينتظرونني خطبةً موضوعها "الحج" ، لا من حيث أحكامه ، وآدابه ، ومتاسكه كما وردت في كتب الفقه ، ولكن من حيث التجربة العملية ، والثمار التي يمكن للحج أن يجنيها من حجّه . أيها الأخوة الأكارم ؛ الحج كما تعلمون فريضة خامسة على المستطيع ، لا مندوبة من تأدبيها ، فمن ترك الحج فقد ترك فريضة مُحْكَمة ، وما دام لابد من تأدية هذه الفريضة ، فال الأولى أن تؤدي في سن الشباب ، فال الأولى أن تؤدي وأنت صحيح قوي ، الأولى أن تؤدي وأنت غني ، الأولى أن تؤدي وسبيل الحج ميسرة .

لذلك ورد في الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير حديثٌ دقيقٌ دقيق ، يقول عليه الصلاة والسلام :

(حجوا قبل لا تحجو)

[الجامع الصغير عن أبي هريرة]

أي قبل لا تتمكنوا من الحج ، إما لضعفٍ في البنية ، أو لضيقٍ في المال ، أو لصعوباتٍ وُضعت تلافياً للازدحام الشديد الذي تُعاني منه المشاعر المقدسة ، "حجوا قبل لا تحجو" ، هذه الحقيقة الأولى .

أما أن يذهب الحاج إلى الديار المقدسة فيصبح عبئاً على الحاج لعل كثيرة يعاني منها ، فهذا مما يعيق صحة أدائه مناسك الحج ، ما دام الحج فريضة مُحَكَّمة ، تجب على المستطاع بدنياً ومالياً ، فلابد من أدائها في الوقت المناسب ، ولا بد من أدائها وأنت نشيط ، ولا بد من أدائها وأنت صحيح ، من أجل أن نقطف الشمار البانعة التي وعدك الله بها .

الحج عبادة بدنية مالية وشعائرية في وقت واحد :

أيها الأخوة الأكارم ؛ هذه العبادة من نوع خاص ، إذا كانت الصلاة عبادة بدنية ، وإذا كانت الزكاة عبادة مالية ، فالحج عبادة بدنية مالية شعائرية في وقت واحد .
إذا أراد الله من هذه العبادة أن يعين الإنسان على نفسه ، فجعل التفرغ أساساً لها ، ومن كرمه تعالى أنه فضلاً عن التفرغ الحكمي ، حينما يترك الإنسان بلده ، وهموم معاشه ، وأسرته ، ومشكلاتٍ يعانيها ، حينما يدع بلده وما فيه من مشكلات فهذا تفرغ ، لكن الله جل في علاه يضيف إلى هذا التفرغ تفريغاً من لذته ، فينسيك كل قضية تعاني منها ، يبعدك عن كل الهموم التي كانت معك ، التفرغ حكماً والتفرغ تكريماً من الله عز وجل ، فهذه العبادة أساسها التفرغ ، وأساسها بذل المال والجهد والوقت ، ومع بذل المال والجهد والوقت يشعر الإنسان أنه قدم شيئاً ثميناً لهذه العبادة ، عندئذ تعقد الصلة بينه وبين الله عز وجل ، وإذا انعقدت الصلة بينه وبين الله ، وإذا اصطلح مع الله ، وإذا استغفر الله ، وإذا حسنت علاقته مع الله ، فقد حق الهدف الأكبر من الحج .

أليست في الدنيا من أجل أن تعرف الله ؟ أليست في الدنيا من أجل أن تقبل عليه ؟ أليست في الدنيا من أجل أن تستقيم على أمره ؟ أليست في الدنيا من أجل أن تفعل الصالحات تقرباً له ؟ إن الحج بما فيه من تفرغ أولاً تفرغ حكمي ، ولما فيه من تفريغ إلهي إكراماً لك ، ولما فيه من بذل جهدٍ ووقتٍ ومال ، يعين نفسك على الاتصال بالله ، على أن تستغفره عما مضى . لذلك أبرز الأدعية في الحج :

((اللهم إنك عفوٌ كريم تحب العفو فاعفْ عنِي يا كريم))

أبرز الأدعية في الحج :

((اللهم اغفر وارحم واعفْ عما تعلم إنك أنت الأعزُّ الأكرم))

هذه واحدة .

العبادات في الإسلام كلها معللة في القرآن الكريم :

الشيء الثاني : أن العادات في الإسلام كلها معللة في القرآن الكريم ، ألا ترى إلى أن الصلاة معللة ؟ يقول الله عز وجل :

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾

[سورة العنكبوت : ٤٥]

ألا ترى أن الصيام معلل بالتقوى ؟ ..

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾

[سورة البقرة : ١٨٣]

ألا ترى أن الزكاة معللة أيضاً ؟ ..

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُرْكِيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾

[سورة التوبة : ١٠٣]

فأين حكمة الحج في القرآن الكريم ؟ قال الله عز وجل :

﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَاماً لِلنَّاسِ وَالشَّهْرُ الْحَرَامُ وَالْهُدْيُ وَالْقَلَادِ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾

[سورة المائدة : ٩٧]

قال العلماء : جعل الله الكعبة قياماً للناس ، أي فيها قيام أمر دينهم ، فإذا صحي دينهم ، وصحت وجهتهم ، وأخلصوا لربهم ، واستقاموا على أمره ، أصلح الله دنياهم . فإذا قال الله عز وجل :

﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَاماً لِلنَّاسِ﴾

أي فيها قيام أمر دينهم ودنياهم ، أي إذا اصطلاح الإنسان مع الله ، وتعرف إليه ، ولزم منهجه ، فقد حق المراد الإلهي ، عندئذ تأتي الآية الكريمة :

﴿مَا يَفْعُلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَأَمَّنْتُمْ﴾

[سورة النساء : ١٤٧]

إن عرفت الله وشكرته ، ما يفعل الله بعذابك في نص القرآن الكريم .

من علم أن الله يعلم و سيحاسب يستقيم على أمره :

إذا :

﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَاماً لِلنَّاسِ وَالشَّهْرُ الْحَرَامُ وَالْهُدْيُ وَالْقَلَادِ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ﴾

[سورة المائدة : ٩٧]

هذه الآية إليها الأخوة دقيقة جداً ، متى علمت أن الله يعلم فقد قطعت نصف الطريق إلى الله ، إذا علمت أن الله يعلم ، ومن لوازم أنه يعلم سيحاسب ، عندئذ تستقيم على أمره .
متى يعصي الإنسان ربه ؟ إذا ظن أن الله غافل عنه ، أو إذا ظن أن الله لا يعلم ، أو إذا ظن أنه يعلم ولكن لن يحاسب ، أما إذا أيقنت ، أنت إذا أيقنت مع إنسان أنك لن تتغلب من قبضته إذا عصيت أمره ، لن تعصي أمره ، هذه من قوانين النفس ، فإذا علمت أن الله يعلم ، يعلم سرك وجهرك ، يعلم نواياك ، يعلم مقاصدك ، يعلم ما أنت عليه في خلوتك ، في جلوتك ، مع الناس ،

في بيتك ، في بيعك ، في شرائك ، إذا علمت أن الله يعلم ، فقد قطعت نصف الطريق إلى الله ، فإذا علمت أن الله يعلم وسيحاسب ، فقد استقامت على أمره ، وإذا استقامت على أمره حققت كل شيء ، لأن الله عزّ وجل يقول :

﴿إِنَّ أَكْرَمُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاكُمْ﴾

[سورة الحجرات : ١٣]

أيها الأخوة الأكارم ؛ يؤكد هذا المعنى قوله تعالى :

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْنَانِ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾

[سورة الطلاق : ١٢]

اختار الله عزّ وجل من بين أسمائه كلها اسمين فقط ؛ أنه عليم وأنه قادر ، أي أن علمه يطولك ، وأن قدرته تطولك ، فإذا تحققت أن الله يعلم كل شيء ، يعلم السر وأخفى ، يعلم ما أسررت ويعلم ما خفي عنك أنت ، وأن العلم مقتضاه المحسبة ، أي إذا استقامت على أمر الله فقد حفظت المراد من وجودك في الدنيا ، إذاً ..

﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَاماً لِلنَّاسِ وَالشَّهْرُ الْحَرَامُ وَالْهَدْيُ وَالْقَلَادَ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾

[سورة المائدة : ٩٧]

من كان مع الله كان الله معه :

الآية الثانية التي تتحدث عن حكمـةـ الحجـ ، وعن الثـمارـ الـيـانـعـةـ التـيـ يـقطـفـهاـ الـحـاجـ ، هيـ قولـهـ تعالى :

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لِلَّذِي بِكَةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ * فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ أَمِنًا﴾

[سورة آل عمران : ٩٦-٩٧]

القرآن كما قال الإمام علي رضي الله عنه : حـمالـ أوـجـهـ .
﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ أَمِنًا﴾

أيـ منـ دـخـلـ الـبـيـتـ الـحـرـامـ فـهـوـ فـيـ أـمـنـ مـنـ اللـهـ عـزـ وـجـلـ ،ـ وـلـكـ الـمـعـنـىـ الـأـوـسـعـ وـالـأـشـمـلـ أـنـكـ إـذـاـ دـخـلـ هـذـاـ الـبـيـتـ حـاجـاـ ،ـ تـائـبـاـ ،ـ مـنـيـاـ ،ـ مـخـلـصـاـ ،ـ تـبـتـغـيـ رـضـوـانـ اللـهـ عـزـ وـجـلـ فـقـدـ دـخـلـتـ فـيـ أـمـنـ اللـهـ ،ـ دـخـلـتـ فـيـ رـعـاـيـتـهـ ،ـ وـفـيـ حـفـظـهـ ،ـ وـفـيـ نـصـرـهـ ،ـ وـفـيـ تـأـيـيـدـهـ ،ـ وـفـيـ تـوـفـيقـهـ ،ـ أـيـ أـنـتـ فـيـ عـيـنـ اللـهـ كـمـاـ قـالـ اللـهـ عـزـ وـجـلـ يـخـاطـبـ النـبـيـ عـلـيـهـ الصـلـاـةـ وـالـسـلـامـ :

﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾

[سورة الطور : ٤٨]

فالأمنُ الذي تعنيه الآية لا يقتصر على أنك آمنٌ وأنك في البيت الحرام ، إنك آمنٌ ما دمْتَ مع الله عزّ وجل ، فإذا كنت مع الله ترى الله معك .

ثمار الحج تقطفها بعد الحج :

أيها الأخوة الأكارم ؛ من لطائف الحج أن ثمار الحج تقطفها بعد الحج ، كيف ؟ إنك حينما قبّلت الحجر الأسود ، أو حينما استلمت الحجر الأسود إن لم يُتّح لك تقبيله ، وهناك جهلٌ كبيرٌ بين الحجاج حيث يُضخّرون بفرضيةٍ من أجل سنة ، ما هي الفرضية ؟ فرضٌ عليك ألا تؤذِي المسلمين ، وتقبيل الحجر سُنة ، فكم من حاجٍ لم يتقّه قبّل أن يحج ، فمن أجل أن يُقْبَل الحجر ضحى بفرضيةٍ مُحكمة وهي عدم إِيذاء المسلمين ، لذلك ورد في الأثر أن : " تفهّموا قبل أن تحجوا " .

إنك أيها الأخ الكريم حينما تُقْبِل الحجر ، أو حينما تَسْتَلِمْ ، أو حينما تسير إليه تدعوه بدعاء النبي صلَّى الله عليه وسلم :

((بِسْمِ اللَّهِ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُمَّ إِيمَانًا بِكَ، وَتَصْدِيقًا بِكِتَابِكَ، وَوَفَاءً بِعَهْدِكَ وَاتِّباعًا لِسُنْنَةِ نَبِيِّكَ
صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ))

[المعجم الأوسط عن علي]

فاللهم أيها الأخوة بعد أن يأتي إلى بلده ، وبعد أن يدخل إلى غِمَار الحياة ، وبعد أن يدخل إلى مَتْجَرِه ، أو إلى مَكْتَبِه ، وبعد أن يدخل إلى بيته ، يجب أن يبقى هذا العهد الذي عاهد الله به على طاعته طوال حياته ، فكُلُّما وقف أمام شُبهَةٍ ، أو أمام مُخالفةٍ ينبغي أن يسمع نداء الله عزّ وجل : أن يا عبدي تذكّر عهْدك الذي عاهدتني به ، كلّما وقفت أمام شُبهَةٍ ، أمام مَرْأَقٍ ، أمام مُخالفةٍ ، كلّما حدَّثْتَك نفسُك أن تقصّر ، أو أن تتعلّم شيئاً لا يرضي الله ، لا تنس أن نداء الله عزّ وجل يقول لك : يا عبدي أين عهْدك ؟ أين وعدك ؟ ألم تعااهدنا على الطاعة ؟ ألم تعدني بالاستقامة على أمري ؟

الحج مغفرةٌ وعفوٌ تامٌ من الله جل في علاه :

شيء آخر : أيها الأخوة الأكارم يؤكّد النبي صلَّى الله عليه وسلم أن للحج دعوةٌ مستجابة ، فـ ..

((الحجاج وفد الله إن دعوه أجابهم ، وإن استغفروه غفر لهم))

[ابن ماجه و ابن حبان عن أبي هريرة]

كيف بك أيها الأخ الحاج إذا أيقنت أن خالق السموات والأرض يُعطيك هذه الفُرصة ، لك عندي يا عبدي دعوةٌ مستجابة ، ادعُني . لذلك حينما تقع عينك أول مرّةٍ على الكعبة لك في هذا الموقف دعوةٌ مستجابة ، وحينما تقف في عرفات ، في هذا اليوم العظيم ، لك عند الله دعوةٌ مستجابة ،

وحيثما تطوف حول البيت ، لك عند الله دعوةً مستجابة ، وحيثما تسعى بين الصفا والمروة لك دعوةً مستجابة ، وقد عَدَ الفقهاء خمسة عشر موضعًا في الحج لك فيها عند الله دعوةً مستجابة ، وكان خير دعاء النبي صلى الله عليه وسلم ، وكانت أدعيته جامعةً مانعةً ..

((ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار))

[من الدر المنشور عن ابن حرب]

وقد قيل لبعض العلماء : ما حسنة الدنيا ؟ وهذا الكلام موجّه للشباب ، فقال أحدهم: إنها الزوجة الصالحة . فمن دعا بهذا الدعاء فلعل الله جل في علّاه يرزقه زوجةً صالحة كما قال عليه الصلاة والسلام :

((الدنيا متع وخير متعها المرأة الصالحة))

[رياض الصالحين عن عمرو بن العاص]

أيها الأخوة الأكارم ، ألا يكفي الحاج هذه البشارة :

((من حَجَّ لِلَّهِ فَلَمْ يَرْفَثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَيْوَمْ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ))

[متفق عليه أبي هريرة رضي الله عنه]

إنها فرصة العمر ؛ أن تفتح مع الله صفحةً جديدة ، إنها فرصة العمر أن يُغفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، إنها فرصة العمر أن تعود من ذنبك كيوم ولدتك أمك .
بشارة أخرى ، يقول عليه الصلاة والسلام :

((..الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة))

[متفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه]

هذه بشاره ثانية . وبالبشرة الثالثة :

((الحج يهدم ما كان قبله))

[الدر المنشور عن عمرو بن العاص]

أيٌّ كما قلت قبل قليل : إنه مغفرةً وعفوًّا تامًّا من الله جل في علّاه .

التعجل بالحج قبل أن يعرض للإنسان ما يكره :

مرةً ثانية : يا أيها الأخوة الأكارم ؛ ليتعجل أحدكم في حجه فإنه لا يدرى ما يعرض له ، فقد سمعت أن في بعض البلاد الإفريقية لا يستطيع الإنسان أن يحج بيت الله الحرام ، في أقل من ربع مليون ليرة بعملتنا ، فكلما تقدم الوقت ارتفعت تكاليف السفر ، ووضعت الشروط التي تُضيق العدد الذي يمكن أن يُتاح له أن يحج البيت ، لذلك تعجلوا الحج فإن أحدكم لا يدرى ما يعرض له . والشيء الذي يلفت النظر - وهذا من سلبيات الحج - أن كثيراً من حجاج بيت الله الحرام لم يتلقّهموا الفقه الكافي قبل الحج ، فوقعوا في أخطاء كبيرة ، هذه الأخطاء ربما تسيء إلى حهم ، وإلى أداء نسكهم ، لسبب بسيط هو أنهم لا يعلمون . فمن أراد الحج لابد من أن يخضع لمجموعة عديدةٍ من الدروس ؛ في مناسك الحج ، وفي آداب الحج ، وفي حكم الحج ، في واجباته ، في

أركانه ، في سُنَّتِه ، في آراء الفقهاء في بعض المَنَاسِك ، فقد يَكْلِفُ الْحَاجُ أَحْيَانًا نَفْسَهُ فَوْقَ مَا تُسْتَطِعُ فِيهَاكَ نَفْسَهُ ، وَفِي بَعْضِ الْمَذَاهِبِ رُخْصَةٌ ، وَقَدْ يَتَسَاهَلُ تَسَاهُلًا يَسِيءُ إِلَى مَنَاسِكِ الْحَجَّ ، هَذَا كَلَهُ أَلِيهَا الْأَخْوَةُ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ فِي ذَهَنِهِ مَنْ يَنْوِي الْحَجَّ فِي الْعَامِ الْقَادِمِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

حقوق العباد مبنية على المشاححة وحقوق الله مبنية على المسامحة :

أَلِيهَا الْأَخْوَةُ الْأَكَارِمُ ؛ كُلُّكُمْ يَعْلَمُ أَنَّ الْعَبَادَاتِ كُلُّهَا لَهَا مُحْوَرٌ وَاحِدٌ وَهُوَ : الاتصال بالله عزّ وجلّ ؛ فَالصلوة مِنْ أَجْلِ الصلة ، والصيام مِنْ أَجْلِ الصلة ، والزكاة مِنْ أَجْلِ الصلة ، وَالْحَجَّ مِنْ أَجْلِ الصلة . وَكُلُّكُمْ يَعْلَمُ أَنَّ أَعْلَى درجات الصلة الدُّعَاءُ ، فَقَدْ قَالَ عَلَيْهِ الصلوةُ وَالسَّلَامُ :

((الدُّعَاءُ مُخْ لِلْعِبَادَةِ))

[الجامع الصغير عن أنس]

إِنَّهُ أَعْلَى درجات الصلة . وَكُلُّكُمْ يَعْلَمُ أَيْضًا أَنَّ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَكُنْ تَائِبًا ، مَا لَمْ يُصْفَى كُلُّ عَلَاقَاتِهِ قَلِيلًا أَنْ يَحْجُّ ، لَا يُسْتَطِعُ أَنْ يَدْعُوا الدُّعَاءَ الَّذِي أَرَادَهُ ، يَشْعُرُ أَنَّ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ حِبَابًا ، لَذُكْرُ :

﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾

[سورة الأعراف : ٥٥]

هُنَاكَ وَهُمْ أَتَمْنَى عَلَى اللَّهِ جَلَّ فِي عَلَاهِ أَنْ يَتَبَدَّدَ مِنْ أَذْهَانِ الْمُسْلِمِينَ هُوَ أَنَّ اللَّهَ جَلَّ فِي عَلَاهِ يَغْفِرُ لِلْحَاجِ كُلَّ ذَنْبٍ إِلَّا مَا كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْعِبَادِ ، إِنَّ الذُّنُوبَ الَّتِي تَغْفِرُ فِي الْحَجَّ ، وَالَّتِي يَعُودُ مِنْهَا الْمُسْلِمُ كِيَوْمَ وَلَدْتَهُ أَمَّهُ ، إِنَّهَا الذُّنُوبُ الَّتِي بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْعِبَادِ فَلَا يُغْفَرُ إِلَّا بِشَيْئَيْنِ : بِالْأَدَاءِ أَوِ الْمَسَامِحةِ ، لَأَنَّ حُقُوقَ الْعِبَادِ مُبْنِيَّةٌ عَلَى الْمُشَاحَّةِ ، وَحُقُوقَ اللَّهِ جَلَّ عَلَاهِ مُبْنِيَّةٌ عَلَى الْمُسَامِحةِ .

هَذِهِ نَقْطَةٌ دَقِيقَةٌ جَدًّا ؛ مِنْ أَكْلِ مَا لَا حَرَامًا ، مِنْ اغْتَصَبْ شَبِيرًا مِنْ أَرْضٍ ، مِنْ كَانَ فِي عَنْقِهِ مَظْلَمَةً لِلنَّاسِ ، إِذَا تَوَهَّمَ أَنَّهُ إِذَا ذَهَبَ إِلَى الْحَجَّ تُغْفَرُ لَهُ كُلُّهُذُنُوبٌ هَذَا وَهُمْ خَطِيرٌ ، إِنَّ الذُّنُوبَ الْمُتَعَلِّقَةَ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْعِبَادِ لَا تَغْفَرُ إِلَّا بِالْأَدَاءِ ، وَلَا تَغْفَرُ إِلَّا بِالْمَسَامِحةِ، أَمَّا الذُّنُوبُ الَّتِي تَرَدُّ فِي فِي أَحَادِيثِ الْحَجَّ ، وَالَّتِي تَتَحَدَّثُ عَنْ فَضْلِ الْحَجَّ فَإِنَّهَا تَلُكُ الذُّنُوبَ الَّتِي بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللَّهِ فَقْطَ .

حاجة الحج إلى إعداد نفسي و علمي :

أَلِيهَا الْأَخْوَةُ الْأَكَارِمُ ؛ الْحَجَّ رَكْنٌ خَامِسٌ مِنْ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ ، وَيَحْتَاجُ إِلَى إِعْدَادٍ ؛ إِلَى إِعْدَادٍ عَلْمِيٍّ ، إِلَى مَعْرِفَةٍ بِأَرْكَانِهِ ، وَوَاجِبَاتِهِ ، وَسُنَّتِهِ ، وَآدَابِهِ ، وَإِلَى مَعْرِفَةٍ فِي اخْتِلَافِ الْفَقَهَاءِ فِي تَحْدِيدِ مَنَاسِكِ الْحَجَّ بَيْنَ وَاجِبٍ وَسُنَّةٍ . وَيَحْتَاجُ إِلَى إِعْدَادٍ نَفْسِيٍّ ، هُنَاكَ تَوْبَةٌ نَصْوَحٌ قَبْلَ أَنْ يَنْطَلِقَ الْحَاجُ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ ، لَأَنَّ الْحَجَّ كُلُّهُ دُعَاءٌ فِي مُعْظَمِهِ . إِنَّ الْحَجَّ فِي مُعْظَمِهِ اسْتِشْعَارٌ

لعظمة الله عزّ وجلّ ، ومناجاة الله عزّ وجلّ . هذا في جوهره ، فمن لم تكن علاقته قبل الحج بالله طيبة لا يستطيع أن يدعو الدعاء الذي أراده الله عزّ وجلّ .

أيها الأخوة الأكارم ؛ حاسبو أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم ، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا ، وسيتخطى غيرنا إلينا فلنأخذ حذرنا ، الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني .

* * *

الخطبة الثانية :

أشهد أن لا إله إلا الله ولِي الصالحين ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، صاحب الخلق العظيم ، اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

زيارة النبي :

أيها الأخوة الأكارم ؛ فقرة ثانية متعلقة بالحج ألا وهي زيارة النبي صلى الله عليه وسلم . الحقيقة أيها الأخوة أن القيم الأخلاقية لا تعيش في الكتب ، لا تعيش إلا بالمثل الحي ، ولن نقتصر أنت بمكارم الأخلاق ، ولا بالسمو النفسي إذا بقي حيناً على ورق ، أو معلوماتٍ تقرؤها في كتاب ، أو محاضراتٍ تلقى على مسامعك ، لن ننصح إلى أن تكون أخلاقياً إلا إذا رأيت إنساناً كاملاً ، والإنسان الكامل الذي جعله الله قدوة لبني البشر ، الإنسان الكامل الذي جعله الله أسوة صالحة للخلق ، الإنسان الكامل الذي جعله الله مثلاً أعلى هو النبي صلى الله عليه وسلم . فإذا زرتـه بعد موته فكأنما زرتـه في حياته ، ولا أدلـ على ذلك من قول الله عزـ وجلـ :

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ﴾

[سورة النساء : ٦٤]

وقد قال مُعْظَم المفسرون : إن هذه الآية تصلح في حياة النبي ، وتصلح بعد موته النبي ..

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفِرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَابًا﴾

﴿رَحِيمًا﴾

[سورة النساء : ٦٤]

أيْ أَنَّ الإنسان حينما يُقصِّر في اتباع سنة النبي فقد ظلم نفسه أشدَّ الظلم ، إذا قصرَ في اتباع سنة النبي ظلم نفسه أشدَّ الظلم ، فإذا أراد أن يتوب إلى الله عزـ وجلـ فينبغي أن يجمع بين استغفار الله و استغفار النبي صلى الله عليه وسلم . لذلك :

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفِرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَابًا﴾

﴿رَحِيمًا﴾

[سورة النساء : ٦٤]

فذلك زيارة النبي عليه الصلاة والسلام بعد مماته كزيارته في حياته ، إذا زرْتَ النبِي ؛ هذا الإنسان الأول الذي بلغ سِدْرَةَ الْمُنْتَهَى ، الذي حَقَّ الْكَمَالُ الْبَشَرِي ، الذي جعله الله قدوةً لنا . أيها الأخوة الأكارم ؛ ليس من باب الفضل أن تزور قبر النبي عليه الصلاة والسلام، ولكن إذا عِلمْتَ أَنَّ اللَّهَ فِي نَصِّ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ يأْمُرُكَ فِي قَوْلٍ :

﴿وَمَا أَتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَاتَّهُوا﴾

[سورة الحشر : ٧]

فأنت مأمورٌ بنصِ الآية الكريمة أن تتبع سُنَّةَ النبِي ، إذاً يجب أن تعرف سُنَّةَ النبِي، كيف كان في بيته ؟ كيف كان مع أصحابه ؟ كيف كان في حَرْبِه ؟ كيف كان في سلمه ؟ كيف كان في بيته مع زوجاته ؟ كيف كان في كل شؤون حياته لأنَّه قدوةً لك .

فكيف إذا جئت قبره الشريف ووقفت أمامه تقول له : يا سيدِي يا رسول الله أشهد أنك بلَّغْتَ الرسالة ، وأدَّيْتَ الأمانة ، ونصحَتَ الأُمَّةَ ، وكشفَ الْغُمَّةَ ، وجاهَدتَ في الله حقَّ الجهاد ؟ كيف إذا جئت المدينة المنورة التي قال عنها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حينما خرج من مكة :

((اللهم إِنَّكَ أَخْرَجْتَنِي مِنْ أَحَبِّ الْبَلَادِ إِلَيْيَ فَأَسْكِنِي أَحَبَّ الْبَلَادِ إِلَيْكَ))

[كتن العمل عن أبي هريرة]

فالمدينة المنورة بنصِّ حديث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحَبَّ الْبَلَادِ إِلَى اللهِ جَلَّ فِي عُلَاءِ ، ومن زار قبر النبي ، وجلس في الروضة المُنْبِرَة المباركة ، وصلَّى في محراب النبي ، ورأى الآثار التي كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه ، عندئِذٍ تُخْفَقُ فِي قلبِه مشاعرُ الْحُبِّ وَالشَّوْقِ ، فزيارة النبي عليه الصلاة والسلام تضاف إلى ثمرات الحج ، وتشعر كيف أن النبي عليه الصلاة والسلام وأصحابه الكرام قدَّموا لنا هذا الدين جاهزاً ، وأخرجوا من ديارهم ، وقاتلوا وقتلوا من أجلنا ، ونحن ما علينا إلا أن نأخذ هذا الإسلام جاهزاً خالصاً ، ما علينا إلا التطبيق ، لكن شتان بين من جاهد حتى أوصلنا إلى هذا الدين ، وبين من طبقَ هذا الدين ، أما الشقي فهو الذي لم يعبأ بهذه الرسالة ولم يستقم على أمر الله .

الدعاء :

اللهم اهدنا فيمن هديت ، وعافنا فيمن عافت ، وتولنا فيمن توليت ، وبارك لنا فيما أعطيت ، وقنا واصرف عنا شرَّ ما قضيت ، فإنك تقضي بالحق ولا يُقضى عليك ، إنه لا يذل من واليت ، ولا يعز من عاديت ، تباركت ربنا وتعاليت ، ولك الحمد على ما قضيت ، نستغرك ونتوب إليك ، اللهم هب لنا عملاً صالحًا يقربنا إليك . اللهم أعطنا ولا تحرمنا ، أكرمنا ولا تهنا ، آثرنا ولا تؤثر علينا ، أرضنا وارض عنا ، اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك ، ومن طاعتك ما تبلغنا بها جنتك ، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا ، ومتعمنا اللهم بأسماعنا ، وأبصارنا ، وقوتنا ما أحبيتنا ، واجعل ثأرنا على من ظلمنا ، وانصرنا على

من عادانا ، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ، ولا تسلط علينا من لا يخافك ولا يرحمنا ، مولانا رب العالمين . اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا ، ودنيانا التي فيها معاشرنا ، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها مردنا ، واجعل الحياة زاداً لنا من كل خير ، واجعل الموت راحة لنا من كل شر ، مولانا رب العالمين . اللهم اكفنا بحالك عن حرامك ، وبطاعتك عن معصيتك ، وبفضلك عمن سواك . اللهم لا تؤمنا مكرك ، ولا تهتك عنا سترك ، ولا تتسبنا ذكرك يا رب العالمين . اللهم استر عوراتنا ، وآمن رواعتنا ، وآمنا في أوطاننا ، واجعل هذا البلد آمناً سخياً رخيماً وسائراً بلاد المسلمين . اللهم إنا نعوذ بك من الخوف إلا منك ، ومن الفقر إلا إليك ، ومن الذل إلا لك ، نعوذ بك من عضال الداء ، ومن شماتة الأعداء ، ومن السلب بعد العطاء . اللهم ما رزقتنا مما نحب فاجعله عوناً لنا فيما تحب ، وما زويت عنا ما نحب فاجعله فراغاً لنا فيما تحب . اللهم صن وجوهنا باليسار ، ولا تبذلها بالإقتار ، فنسأله شرّ خلقك ، ونبتلى بحمد من أعطي ، وندم من منع ، وأنت من فوقهم ولهم العطاء ، وبيده خزائن الأرض والسماء . اللهم كما أقررت أعين أهل الدنيا بدنياهم فأقرر أعيننا من رضوانك يا رب العالمين . اللهم بفضلك وبرحمتك أعل كلمة الحق والدين ، وانصر الإسلام وأعز المسلمين ، وخذ بيده ولاتهم إلى ما تحب وترضى ، إنك على ما تشاء قادر ، وبالإجابة جدير .

والحمد لله رب العالمين